

بَـوْحُ الْيَاسْمِينِ

رِفَاهِ عَثْمَانَ الْعِيَّاشِ

الإهداء

أبي :رجلٌ بحضارة عشرة أجيال ،، رجلٌ تضحّ المجالسُ بطيبِ ذكره ،، المعلمُ الفاضلُ بكلِّ ماتحمله
الكلمة من معاني ، ولكن يثقلُ على الكلمة أن تحمل كلماتٍ تليقُ بك

فكيف لكلمات صغيرتك أأنا تخجلَ في حضرتك وأنا كلما كتبتُ كلمةً عنك عادت ورقتي بيضاء لأنها لم
تُصنّفك

أمضيتُ عمري فخورةً لأن اسمي اقترن باسمك ، فكتبتُ هذه السطور عليّ أوفيكَ بعضاً من حقك وتكن
أنت من تفخر بي هذه المرة

أمي :

كيف لحروفي أن تصفك وتوفيك حقك ،، من ذا الذي يصفُ قطعةً من الجنان ونبعاً من الحنان

يا من تضيئين لي نجومى كلّ ليلة بمصابيح دعائك ،، يا من تنتظرين سعادتى أكثر من انتظاري لها

ليتني أملك سعادة الدنيا لأنثرها في كفيك ،، لكنني لا أملك سوى قلبي وأوراقى ودعائى أن تبقي شمعةً
تتير ظلماتي

إخوتي :

نبض قلبي ،، سندي وسرّ سعادتى

لطالما كنتم إخوة بنكهة الأم والأب ،، مغرورة أنا بكم ففيكم من العلم والحكمة والحسن والطيبة ما يليق
بغروري بكم

حماكم الله لقلب يتوه دونكم ولأطفاكم الياسمينات التي تتفتح في بيت أبي

صديقاتى:

صديقات الطفولة والدراسة وأيام الذكريات التي لاتنسى

صديقات الغربة كنتم بطاقة فرح دون موعد انتهاء ومطر تساقط على صحراء غربتي

صديقة صباحاتي ومساءاتي ،، عاشقة كلماتي و مرآة روحي

وكل من نثر على رصيف قلبي ياسمينة

غارقةً أنا بالياسمين ولا أرجو منه نجاة

عُذراً... فما وجدتُ في عطور باريسهم

عطراً أجملَ من شذاه

وطني

منذ ولادة جرحك يا وطني
وقلمي ما زال ينزفك حروفاً
مريضة أنا بك
ولم أجد دواءً سوى أن أكتبك
أكتبك لتحيًا وأحيا بك
وأشعر أنني ما زلتُ على قيدك
يوماً ما سنتعافى
سنطرد ثاني أوكسيد الحرب
ونسنتشق أوكسجين الياسمين
وئشرق شمسك
وطني ..
ارتديك حروفاً من ياسمين
لتعبق أيامي بك

حمص يا وجمي

بي من الألم ما يكفي عندما أستيقظ خالية من الوطن

لِمَ لَمْ أَعْتَدْ غرِبتِي إلى الآن ...؟!

لِمَ جَسَدِي هنا ... وروحي هناك ...؟!

أأأأأأه من نزلات الحنين كلَّ صباح

مُذْ غادرتها وكلَّ شيءٍ يدفعني لأحبها أكثر

مُذْ غادرتها وكلَّ شيءٍ يجعلني أحنُّ إليها أكثر

وأعتب على كل مدينةٍ تحاول أخذَ مكانها في قلبي

فرفقاً بقلبي يا حمص

إني قد ضببتُ نبضي على توقيت ساعتك

التي مازالت تدقُّ في قلبي

أنثى الياسمين والمطر

كيف لأنثى خُلقت من ترابِ جُبَلِ برائحةِ المطر
أن تحيا في صحراءِ الغربية في ليلها المُستعِرِ ..؟
كيف وقد أمضت عمراً ملتصقةً بالنوافذ تُعدُّ حَبَّاتِ المطر
واليوم باتت تراها في صور..؟!
منذ اقترفتُ الفراقَ يا بلدي
وقلبي لازال مصلوباً على جدران تلك البيوت الدافئة الباردة
حسبي أنه حكمُ القدر
تُرى هل غسلَ المطرَ آثارَ خطواتي عن الطُرق حين انهمر ..؟!
بكلِّ ما يحملهُ المطرُ من بردٍ لأطفالِ وطني
أكرههُ وأعشقهُ .. كعشقي للقمر

سوريّتي

صدق مَنْ قال لكلِّ مقامٍ مقال
ومعشوقتي عرفت مقامها فتدللت
مُدُّ بحتُ لها أُنِّي هِمتُ في هواها
أما المقالُ : وقد أعيّت كتابَ عصرها وشُعراها
فمن أنا حتى أوفيتها حقّها ومن اسمها يفوحُ شذاها
ما أنا إلّا عابر سبيلٍ وقفَ أمامُ حُسنها صامتاً
وسبّح مُبدعها كيف صوّرّها وسوّاها
ورأيتُ جمالَ الكونِ كلّه أخذَ جماله من بعض حلاها
إن كانت قد أوجعتِ الأزاميلَ بحُسنها
فما حالُ القلوبِ التي تهواها

سوريّتي

ما بالُ قلّمي كلّما كتبتُ عنكِ كلمةً
استحالَ وردةً حمراءَ في يدي
وعرّشَ الياسمينُ على أصابعي ومحاها

أربعة أعوام

للسنة الرابعة ورياحُ غربتي مازالت تُمرجني بحُلوها ومُرّها
للسنة الرابعة وقلبي لازال معلقاً على عُصنِ غصنٍ
غرسهُ بيديّ الصغيرتين ذاتَ صباحٍ في حديقة بيتنا الأول
ولكنّ ذاك الغصنُ مازال أخضراً مورقاً
فتلكَ الطفلةُ كبرت وتعلمت كيف يُزهرُ الوطنُ في عُصنِ
تسقيه بدمعها وتحرسهُ بعين قلبها
وتنتظر

وطنٌ وحلمٌ

وأعشقُ حُلماً أرى فيه أُنِّي فيكَ يا وطني
استفقتُ على الحُلْمِ ذاته
لكنّه ليس كمثلِه حُلْمٌ
فهو أجمل من الأحلام ذاتها
لا يُنسى بعدَ لحظاتٍ من اليقظة
بل يُنقشُ على جدار القلب
حُلماً يجعلني أُغري النومَ به كلَّ ليلةٍ
علي أراه مجدّداً
وياخيبيتي ان لم أراه ..!!
حُلماً يُحرّرني من قيدي
يبعثني من صمتي
ولو للحظة ..
يُطلق مواسم الربيع
يُعلن مراسم الفرح
يبدّد ظلمة الليالي
يضيء عتمة الدرب
ووحشة القلب
ويُشعلُ في محراب الروح شمعة
لأقف هناك أصلي من أجله
من أجل أن يتحقّق .. فهو حُلْمٌ

نزوحُ الذاكرة

هو نزوح له طعمٌ جميل ...

لا يُشبهه النزوح الداخلي الذي يجعلنا على مقربةٍ من ذكرياتنا
نتفقدُها من وقتٍ لآخر

ولكن لا نستطيعُ استعادتها أو إحياءها
فيُشعرنا بعجزنا ...

ولا يُشبهه النزوح الخارجي الذي يجعلنا في منفى عن الوطن والذكريات
وساعات الغربة تُرهقُ أعمارنا

فننظر الى ماضيها بعين الحُرقة .. وذاك هو العجز الحقيقي
هو نزوح من نوع آخر ...

ننزع به نحو ماضيها بحُلوه ومُرّه ونقلبه صفحةً صفحةً
وعندما تضيقُ بنا ..

ننزع نحو المستقبل نرسمه كما نعلم ونشتهي

وترقصُ قلوبنا فرحاً على الايقاع الذي اخترناه ...

ثلاثة أيام في الجنة

ذاتَ ذكري كنتُ هناك ..

كانت المرّة الوحيدة التي تطولُ إقامتي فيها

كانت أذني تعشقها قبل أن عيني تراها

وعندما رأيتها ،، عشقتها أكثر

مشيتُ في أزقتها القديمة ،، جلستُ في بيوتها العربية

أكادُ أذكرُ وجوهَ مَنْ رأيتهم في "قصر النرجس" ذاك البيت العتيق

من زوّار ،، صوت نافورة الماء ،، مذاق القهوة الذي كان أشهى بكثير من أي قهوة

والفرقة التي كانت تعزفُ أجمل الألحان على العود...

كلّ شيء كان مختلفاً...

لم أحسد أحداً قطّ سوى من يسكن تلك البيوت

أذكر أنني عندما مررتُ بجوار أحد البيوت

خرجت منه امرأة وتركت الباب موارباً

وقفتُ بضع دقائق أسترقُ النظرَ كطفلةٍ تنتظرُ إلى دكان حلوى

حتى أخلتني نظراتها ومضيت ...

كلّ تلك التفاصيل لم تغب عن بالي يوماً

مشيتُ بين أزقتها ساعاتٍ وساعات ولم أتعب

كنتُ لشدة سعادتي أشعر وكأنني فراشة تتنقل بين الزهر

استنشقتُ من هوائها ما هو كفيلاً لإنقاذي من أي وعكة حنين

ملأتُ عيوني من جمالها حدّ الثمل

وكان شيئاً ما بداخلي يُخبرني أنها ستكون المرّة الأخيرة التي سأراها فيها

عدتُ بعد أن ملأتُ جيوبَ حقيبتِي بأجملِ الذكريات
لكي لا أنسى الغصّة والدمعة التي سألت من دون سبب عندما غادرتها
فيما بعد أدركتُ وكأن قلبي كان يدري بما يحمله القدر
وأنتي حُجزتُ موعداً مُسبقاً مع الغربة ...
كانت الأيام الأجمَل في عمري وكانت كفيلاً
بأن تجعل رُوحِي ترقصُ فرحاً عندما يُذكر اسم
" الشام "

حنين

و على سبيل الحنين ...

أفتقدُ العصافير التي كانت تنقرُ على نافذتي
وتعزفُ لي أجملَ السيمفونيات لأستيقظ
ثراها مازالت تأتي في مواعدها كلَّ صباح
أفتقدني ،، أنسائل عني أغصانَ الشجر؟؟
أم حالها كحالي هجرت المكان الذي تحب
و لم تعد تجد أشجاراً تأوي إليها في حديقتنا
أظنّها تبحثُ عني في فضاء هذا الكون الرحب
وربّما مرّت بمحاذاة نافذة عُربتي ولم تعرفها
معذورةٌ هي ..

كيف لها أن تفتنع أن أنثى الياسمين
باتت حبيسة تلك الجدران القاسية
ونافذتها هي تلك النافذة المُعتمة
ذات الستّارتين الخالية من الرّوح والعطر
التي لا تطلُّ إلا على جدارٍ مسدود
ولا سبيلَ إلى رؤية السماء منها
أمّا خيوط الشمس فقد أضاعت طريقها إليها

ماذا أكتب بعد ...!!??

أوجعتُ الأوراقَ ،، اشتكاني القلم وبعثني الألم

ربّما أكتب لأننفس .. فاعذروني

نسمات مُحمّلة بزهر الليمون

زهر الليمون ... أنتَ مَنْ أشعلتَ حنيني

حينَ يأتي المساءُ يُصبحُ الوقتُ شهياً لِإدعاءِ الحنين

لا أستطيعُ أن أقاومَ حنينَ تلكَ الأيامِ

الذي يقرعُ أبوابَ قلبي مع تلكَ النسماتِ

لا أستطيعُ أن أخرسَ صوتَ الذكرياتِ

وهي تجهشُ في داخلي

لا أستطيعُ أن ألونَ ذبولَ ثغري باللامبالاةِ

فقط أستطيعُ أن أستسلمَ لتراكماتِ غصةٍ

جائيةٍ على قلبي ... وأبكي اشتياقاً لفرحنا

المخبأً هناك وغيبتهُ الحرب

عام جديد ، ، ، ولا جديد

لم أهتم يوماً للأعوام والتواريخ

لكنني أذكرُ منذ سنواتٍ

وعلى شُرْفَةِ ذاك البيتِ البعيدِ جداً حدَّ التعبِ

استوقفتني أرقامها "٢٠١٦"

ظننتها بعيدة جداً

وهمستُ لفنجانِ قهوتي

أنه حين سيأتي ذاك العام

سيكونُ كلُّ شيءٍ قد تغير

وبلدي قد تعافت

وحمص جميلة عادت

والأمة من سباتها قد استفاقت

ونسينا رائحة الدّم والبارودِ حين فاحت

وكلّ وجعٍ به الرّوحُ فاضت

ولكن كيف ننسى ..؟؟

شباباً بعمرِ الوردِ للشّهادةِ قد تهادت

بيوتاً لمن نحبّهم إذ تهوت

أطفالاً في الخيامِ تأوت

أحباباً في البحرِ سارت

ونفوساً في بدائلِ الوطنِ ضاقت

حسبنا أنها أقدارٌ من الله كانت ..
ربّما أسرفتُ في أحلامي
وبعتُ من أجلها أجملَ سنين العمر
فمخطئون نحنُ حين نرتدي الأحلام ونتعرّى في الواقع
لا أحصي ما تحقّق من أحلامي وما لم يتحقّق
فلا شكّ أن كلّ ما تأخر ،، لخيرٍ يخبئه الله لنا
ولكن كلّ ما في الأمر أنّ سرعة الأيام مخيفة جدّاً
والروحُ للياسمين قد اشتاقت ...

وما الحب إلا للمنزل الأول

قد تمنحنا بدائلُ الوطن بيوتاً جميلةً
لكنها تفشل بأن تمنحنا دفناً وروحاً لها
لأربعة أعوامٍ وطيفُ بيتِ أبي لم يُغادرني
لأربعة أعوامٍ يُطاردني الحنينُ لكلِّ ركنٍ
وزاويةٍ فيه ويحاصرني
أشتاقه حين تُشرقُ الشمسُ على شرفتهِ ولا أراها
أفتقده حينَ تغيبُ شمسُهُ وأغيبُ معها
شرفتهِ التي يحيطُ الورد والياسمين بها
كما يحيط الطوقُ عنقَ عذراءٍ
وبه تتباهى
عليها تركتُ ذكرياتنا ،، نثرتُ ضحكاتنا
وأحاديثنا بقيت غافية لا يُورِّقها
إلا صوت قطارٍ يمرّ بمحاذاها
هناك تركتُ أختي وزوجها وأطفالها
ومازالت لحظةٌ وداعنا في قلبي يئنُّ صداها
ما مرَّ يومٌ دونَ ذكراها
آآه كم أفتقدها
وأشتاقُ لمرآها
أختُ بنكهة الأم .. فكيف لي أن أنساها

أربعة أعوامٍ وحربٍ تفصلني عنها
ولازلتُ أحترقُ شوقاً لبيتنا الأول ولقياها ...

أيلول

أيلول ...

ما بالُ صباحاتكَ كثُرتَ فيها الخطوب

ولياليلكَ اتشحتَ بالسوادِ والشحوب

تمهّل قليلاً .. فقد أدميتَ القلوب

ليتَ الهمومَ تتساقطَ كأوراق أشجارك

ورياحك إذ هبّت حملت معها

آلامَ شعبٍ ضاقت فيه الدروب

أيلول ...

ليتكَ تسكنني

ليتكَ تُسقطَ أوراقَ ما سبقَ من شجرِ عمري

يأخذها خريفك

وتذروها رياحك

لأتجدّد ،، لأنبت ،، لأزهر

لتعودَ إليّ ثانيةً ويغلبكَ ربيعي

فنسعد القلوب ...

جرح الياسمين

صغيرةً كنتُ ... لا أجد أجمل من اللعب بالياسمين

فأغزلُ منه أطواقاً كلَّ يومٍ بلا ملل

والسعادة تغمرني كما يغمرني عطره

كنتُ أتساءلُ في نفسي كيفَ يجتمعُ الياسمينُ

مع الإبرة والخيط ..!؟

لم أكن أعلم بالجراح المخبأة لوطن الياسمين

كبرتُ وأدركتُ ..

كم تحتاجُ قلوبَ شعبِ الياسمين

من الإبر والخيطان لتضميدَ

جرحه النازفِ في قلوبهم ...

ابنة آذار

في خريفِ العُمرِ وصيفه يهدأ الشوقُ بعضَ الشيء
وعندما تهبُّ نسَماتُ شتائه الباردة
تُجمدُ الدماءَ في عروقي وتزيدُ صقيعَ قلبي
ولكن ما إن يدقُّ آذارَ البابَ مُعلنًا مراسمَ الربيعِ
حتى يفتحَ له قلبي بكلِّ ما أوتيَ من حنينٍ
ويُصبحُ الشوقُ كالجمرِ كلما هبَّت عليه
رياحُ الحنينِ يزدادُ اشتعالاً
وكلما تفتحت وردةً في ربيعِ بلدي هناك
أختنقُ أنا بعبيرها هنا...
فما حيلتي إن كان عطرَ آذارَ عطرُ وطنٍ؟!
ولأنني ابنة آذار لا أملكُ سوى أن
أعشقَ الربيعَ و أنتظره

الصباح بركان ذكريات

وبعض ملامح وطني تُشرق من دمي ...

في كلِّ صباح تهربُ رُوحِي مني إليها

تُعانق أزقتها ... حجارتهَا السود

تُقبّل خدَّ ياسمينها .. ولا تعود

سوريّتي

يا بلدَ اللحظات الجميلة

وحكايات المجد الطويلة

يا حسنائي ومعشوقتي

كلَّ فجرٍ لا تشرق شمسك

على أهدابي

هو ليلٍ فاقدٌ قمره

وقلبي بصباحك موعود

ما يسمونه "عيد الحب"

تَبّاً لمدّعي الحب
تَبّاً للعشيق الساذج
تَبّاً للأحمر المزيف
أحقاً يملؤكم الحب لتحفظوا به
فلتصدّقوا على وطني ببعض منه إذا
أحقاً تبحثون عمّا يرمز له ..؟!
انظروا لحظة إلى وطني
تجدوه غرقاً بأحمره
وترابّه تخضبّ بدماء أبنائه الحمراء
ألا يكفيكم هذا لتعرفوا
كيف يكون الحبُّ ... ولمن ...؟!!

غرورأنثى

كوني أنثى قوية وارتي كبرياءك
لتبعدي أنصاف الفرح عنك
تكحلي كل ليلة بمروء كبريائك
ليكتمل نصف القمر في مراتك
ارتي كل مساءً أجمل ما لديك
وكأنك مدعوة لفنجان قهوة على طاولة قدرك
لا تختصري بالفستان الأبيض سعادتك
واختاري بعناية من يليق بك
لا تثقي بالحب كثيراً فالقلب وحده قد يُضلك
بل أضيفي عليه بعضاً من عقلك
ثقي بمن يطرق باب بيتك قبل باب قلبك
لا تنظري إلى جيوبه ،، فقط فنشي في جيوب قلبه عن أمانك
اختاري رجلاً تكوني حلمه ويسعى لأجلك
اختاري رجلاً يفخر به أهلك ويفخر هو بك
كوني الياسمين لتنسيه عطر كل أنثى مرت قبلك
كوني وطنه ليكن وطنك

نيسان

إذا نيسانُ دق الباب
لا أستطيع إلا أن أفتح له باب الروح
ولكن ماذا سأشرح له...؟!
عن ورود بلدي التي استشهدت
عن جراحه التي نزفت
عن ضحكات أطفاله التي غُيِّبت
أم عن ربيعته الذي سُرق ...
ليت ما حلَّ بوطني كان كذبة نيسان

خبرٌ جديدٌ ... ووطنٌ شهيدٌ

نتابعُ أحداثَ الرُّعبِ في وطنِ الياسمين من بعيد

نسمع الوعيد والتنديد

نرى من الدمار والخراب المزيد

وكلَّ يومٍ مئةٌ جريحٍ وألفُ شهيد

لا جديد ...

غير أنهم رقصوا على حطام الوطن

بقلبٍ من حديد

وجراحنا تنزفُ صديد

لا جديد ...

سوى أنه تمَّ العُثور على وطنٍ شهيد

مخيمات العار

يا مَنْ تسكنون الخيام ..

أيقتلکم البرد ... أنا يقتلني بعض الدفء

أيقتلکم الخوف ... أنا يقتلني بعض الأمان

يا غصّة الصباح والمساء

في قلبي الذي كان يعشق الشتاء

ولأجلکم بتُّ أمقته وأخشاه

خجلاً من عيون أطفالٍ

تلتحفُ العراء

تتوسدُ السماء

تنام وبتونها خواء

ولا أملك لكم إلا الدعاء ...

أحلام على أرصفة السفارات

حملوا أرواحهم على أكفهم وعبروا القارّات
ومن أجل حُلْم الوصول تجرّعوا الآهات
نجوا من شبّح الموت آلاف المرات
وصلوا إلى بلاد المهجر وبدأت المعاناة
تعاقبت الصباحات والمساءات متشابهاً
مظلمة موحشة فيها كل الأوقات
ثقيلة على الروح تمرُّ الساعات
ظنوا أنها ستمطر عليهم بالملذّات
ولكنها أمطرتهم بوابلٍ من الخيبات
فأيقنوا أن خارج أسوار الوطن لاهياة
ذاقوا الأمرين للحصول على وريقات
تجمع شملهم بعد الشتات
من أجلها افترشوا أرصفة السفارات
بات حُلْمهم أن تجمعهم مع أهلهم
ذات لقاءٍ الطرقات ..
فرقٌ كبيرٌ أن تكون على قيد وطن
وتصبح مجرد رقم في صفحات ...

قهوتي وصوت فيروز والياسمين

ثلاثية تلازمي

كغذاء روعي في صباحاتي

وقرطاسية مساءاتي

ثلاثية تكملني تحاصرني

ولا أرتجي منا الهرب

ثلاثية تنقلني إلى مدن الياسمين والحنين والتعب

أذيب فيها الفرح والحزن والعتب

هم سفينتي وشراعي حين أبحر بين سطوري

صوتُ فيروز ،، كالموج الهاديّ يداعب مركبي

فيحملني إلى شطآن ذكرياتي

الياسمين ،، الذي يضبط ميعاد انتشاره على وقع نبضي

أما قهوتي ،، فهي معشوقتي سمرائي

أحبها مرّةً كواقع وطن ياسميني

حبّاتها شوق .. هالها حُب .. وسُكّر ها كلماتي

دمشق والقلب

منذ اقترفتُ الفراق يا دمشق

عاهدتكِ على الحب

أهديتكِ القلب وأقسمتُ أنكِ به أحقّ

ولكن بحقّ ياسمينك

اعذريني .. وسامحيني

إن تجرأتُ يوماً وسألتكِ

أن تُعيريني قلبي

لأمنحه لمن سيحبّني ويحبك

وأعدكِ ..

أن يكونَ مهري حُبك

وأن نسمي طفلتنا باسمك

ليعقبَ بيتُ حُبنا بياسمينك

وذكرك

ونعود ذاتِ قدرٍ

لنركعَ تحتِ سمائكِ

نُقبَلُ ترابك

وئباركِ ذاكِ الحبِ حاراتك

قبري

أنا الفتاة العشرينية
التي تتساءل أين سيكون قبرها ..؟!
حين تلفظ الأوطان أبناءها
فمبررٌ سؤالها
أنا هي تلك الفتاة
التي اقتربت دون ذنبٍ غيابها
أنا التي حَجَزَتِ الغربة لها
مقعداً على متنها ..
وأضت شبابها
تعشق الشام
وتشتاق لثراها
يا شامُ .. كنتِ حلم الطفولة
وجع الشباب
ومختصر أحلامها
تُرى هل يشفع لها
عشق ياسمينها
فتغفري لها ذنبها
وتحضني جثمانها ..؟

الفهرس

الإهداء

١ ... وطني

٢ ... حمص يا وجعي

٣... أنثى الياسمين والمطر

٤ ... سورييتي

٥... أربعة أعوام

٦... وطن وحلم

٧... نزوح الذاكرة

٨... ثلاثة أيام في الجنة

٩... حنين

١٠ ... نسمات مُحَمَّلة برائحة الليمون

١١... عام جديد ولا جديد

١٢... وما الحب إلا للمنزل الأول

١٣... أيلول

١٤... جرح الياسمين

١٥... إبنة آذار

١٦... الصباح بركان ذكريات

١٧... ما يسمونه "عيد الحب"

١٨... غرور أنثى

١٩... نيسان

- ٢٠... خبر جديد ووطن شهيد
- ٢١... مخيمات العار
- ٢٢... أحلام على أرصفة السفارات
- ٢٣... قهوتي وصوت فيروز والياسمين
- ٢٤... دمشق والقلب
- ٢٥... قبري



أنا الياسمين

المبعثر على دروب الغياب

المتروك لرياح الشوق

تتلاعب به...

فيفوح عطراً من حنين

رفاه عثمان العياش